

مدخل لعلم الاجتماع

د. مهدي محمد القصاص

أستاذ علم الاجتماع المساعد

كلية الآداب – جامعة المنصورة

مصر

E-mail: mahdym@mans.edu.eg

Website: www.mahdyelkassas.name.eg

٢٠١٠

مكتبة مشالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الإنسان كائن اجتماعي، يعيش في جماعة، يتأثر بها ويؤثر فيها من خلال عملية مستمرة من التفاعل. ومنذ بدأ الخليقة؛ عندما خلق الله "عز وجل" آدم "عليه السلام"، لم يتركه يحيا وحده، بل خلق من ضلعه حواء؛ ليأنس إليها ويعيش معها، ثم خلق من بعدهم ذرية كثير.

والإنسان في حياته الاجتماعية، يقوم بتنظيم تفاعلاته مع الآخرين (من الأسرة والأقارب والجيران ومجتمعه الصغير... وتستمر هذه الدائرة في الاتساع حتى تصل للعالم كله) وفقا لرؤاه الخاصة التي تتأتى من منظومة القيم التي ينشأ في ظلها. وتتأثر هذه المنظومة القيمية الشخصية - بل إنها تتبع - من المنظومة القيمية الأعم الراسخة في المجتمع التي تقوم على أساس الاعتقاد السائد في المجتمع، والذي يتأتى من عوامل الدين والثقافة والتاريخ.

ففي العالم الغربي، هناك حالة واضحة من لفظ الدين والإيمان بالمادة وحدها، والتي جاءت على شكل موجات متتالية في نظريات اجتماعية تؤصل لتلك الرؤى، لتجعل منها ممارسة شخصية على مستوى الفرد. فكانت الوضعية والسببية والماركسية... وغيرها من الرؤى، وصولا للموجات الحديثة للعولمة والحدثة وما بعد الحدثة.

وعلى النقيض من ذلك، كان الدين عامل حسم في تاريخ وحياة الشعوب العربية والإسلامية، وموجه أساس ودافع لها. لذلك، فقد حاولت في هذا الكتاب عرض لوضع علم الاجتماع؛ من حيث نشأته وتطوره ورواده المؤسسين وموضعه الراهن.

وفي سياق محاولتي لعرض تلك الرؤى المتباينة، فقد بدأت بلمحة تاريخية عرضت فيها للجذور الأولى لهذا العلم، والتي جاءت على يد علماء مسلمين مثل ابن خلدون والفارابي. ثم جاء بعد ذلك عرض النظريات السائدة في هذا (وهي رؤى غربية مادية في جلها، وذلك لحقيقة أن هذا العلم في العصر الحديث نشأ وترعرع في بيئة غربية محضة). ولا يعنى عرضي لتلك النظريات والرؤى الغربية المتنوعة إيماناً بها ولا اتباعاً لها؛ بل إنه جزء من تاريخ العلم أعرض له بسلبياته وإيجابياته وأحاول قراءته بعين ناقدة أنى تسنى لذلك.

والله من وراء القصد

كوم حمادة

في ٢٥ أغسطس ٢٠٠٩

د. مهدي محمد القصاص

الفصل الأول

نشأة علم الاجتماع

أولاً - لمحة تاريخية

ثانياً - الفكر الاجتماعي الإسلامي

ثالثاً - الجذور الفكرية لعلم الاجتماع

أولاً - لمحة تاريخية

إن التجمعات الإنسانية الأولى التي اتخذت شكل القبائل والعشائر والأمم والمجتمعات هي جزء متأصل في ثقافة البشر ودلالة قوية على اعتماد الناس على بعضهم البعض في تخطي المشكلات والعقبات وتحقيق التقدم والازدهار. فالاستعانة بالآخر ضرورة من ضرورات البقاء وأساس من أسس الوجود الإنساني على كوكب الأرض، الذي يأخذ شكل المنفعة المتبادلة بين الأشخاص من خلال التبادلات التجارية أو غيرها من أشكال التبادلات الاجتماعية التي تحافظ على وحدة الصف وتماسك المجتمع، وهي عادة ما تأخذ الشكل الطوعي تحت مظلة الجماعة.

ومنذ ذلك الحين، والبشر يلاحظون ويتأملون المجتمعات والجماعات التي يعيشون فيها. ومع ذلك فعلم الاجتماع علم حديث، لا يزيد عمره على قرن واحد من الزمن وضعه أوجست كونت (أبو علم الاجتماع) في تصنيفه للعلوم - من الناحيتين المنطقية والزمنية - في مرتبة تالية على العلوم الأخرى، بوصفه أقلها عمومية وأكثرها تعقيداً على الإطلاق. كما لاحظ أحد علماء الأنثروبولوجيا المحدثين أن علم دراسة المجتمع البشرى لا يزال بعد في مرحلة طفولته الأولى. وبالرغم من ذلك، فإننا يمكن أن نجد في كتابات الفلاسفة، والمفكرين الدينيين،

والقانونيين فى جميع الحضارات وعلى مدى جميع العصور بعض الملاحظات والأفكار التى تتصل بعلم الاجتماع الحديث^(١).

وقد ظهرت الإرهاصات الأولى لعلم الاجتماع فى أحضان الدراسات الفلسفية عند القدماء، فبدأت عند أفلاطون (٣٤٩ ق.م) فى الجمهورية والسياسي والقوانين. كما تمثلت عند أرسطو (٣٢٢ ق.م) فى نظرياته فى السياسة والاجتماع فى كتاب السياسة. وتجلى التفكير الاجتماعى فى دراسات فلاسفة المسلمين من الفارابى (٩٥٠م) فى السياسات المدنية وآراءه فى أهل المدينة الفاضلة، وابن خلدون (١٤٠٦) فى مقدمته، وقد أسماه علم العمران البشرى. وكان هدفه كشف القوانين التى تفسر الظواهر الاجتماعية، وليس تحقيق الإصلاح الاجتماعى كما كان الحال عند أفلاطون وأرسطو. إذ أخذ يدرس العمران ونظمه ويرجع الظواهر إلى قوانين ثابتة دون أن يردّها إلى الأهواء والمصادفات، أو يرجعها إلى القوى الخفية أو إرادة الأفراد، فكانت حتمية الظواهر. ثم جاء أوجست كونت (١٨٥٧)، فميز بين الظواهر الاجتماعية والظواهر الفردية، وجعل الأولى موضوعاً لعلم واقعى وضعى يعالج بمناهج الملاحظة الحسية وأطلق عليه علم الاجتماع^(٢).

الفصل الثاني

ماهية علم الاجتماع

- أولاً - الرواد المؤسسون
- ثانياً - تعريف علم الاجتماع وتحديد موضوعه
- ثالثاً - وظيفة علم الاجتماع
- رابعاً - النظرية الاجتماعية

الفصل الثالث

علم الاجتماع وعلاقته بالعلوم الأخرى

- علم الاجتماع والعلوم المرتبطة به

(١) الأنثروبولوجيا.

(٢) الفلسفة الاجتماعية.

(٣) علم النفس.

٤) التاريخ.

٥) علم السياسة.

٦) علم الاقتصاد.

يمكن اعتبار العديد من الإسهامات الهامة في ميدان الفلسفة الغربية بمثابة إسهامات حقيقية في ميدان علم الاجتماع ابتداء من القرن السابع عشر. ثم ظهرت مصطلحات عديدة بعد ذلك كبديل عن مصطلح "علم الاجتماع" مثل السياسة، والاقتصاد الاجتماعي، والفلسفة الاجتماعية، والعلوم الاجتماعية. فإقامة حدود معينة لنطاق علم الاجتماع قد تكون مسألة صعبة، إذ أن ذلك معناه استبعاد عالم الاجتماع للنظم التي قد لا تدخل في نطاق علم الاجتماع بمعناه المحدود. وهذا يمثل حرص على دراسة النظم ذات الأهمية الخاصة، وليس تمييزاً لحدود العلم.

والواقع أن انفتاح مجال الدراسة فى علم الاجتماع واستعداده لقبول ميادين جديدة للدراسة، إنما ينشأ عن اهتمام عالم الاجتماع بأنساق الفعل الاجتماعى والعلاقات المتبادلة بينهما. ومن الضرورى أن يؤدى ذلك إلى معالجة علم الاجتماع لكل جوانب الحياة الاجتماعية سواء كانت هذه الجوانب متعلقة بالمجال الضيق لهذا العلم أم متعلقة بمجالات علوم إنسانية أخرى. لذلك فإن علينا أن نتوجه إلى كل علم من العلوم الإنسانية لنوجه إليه طائفة من التساؤلات مثل : هل يتناول هذا العلم قضايا حاسمة ؟ وهل هناك منهج معين يمكن بواسطته التعرف على القضايا موضوع الدراسة ؟ هل يؤدى هذا المنهج إلى التوصل إلى حقائق ذات معنى ؟ وهل يمكن تجميع هذه الحقائق وصياغة استنتاجات أو تعميمات يمكن أن تزيد المعرفة التى لدينا ؟ وهل يمكن أن تؤدى هذه الاستنتاجات إلى ظهور قضايا جديدة يمكن أن تقودنا إلى بذل مزيد من الجهد لفهم الإنسان ونشاطاته ؟⁽¹⁾.

وهذا ما سنحاول أن نعرض له بالتفصيل من خلال تداخل علم الاجتماع وتكامله مع عدد من العلوم الأخرى بهدف دراسة المجتمع وتحقيق رفاهية أفراده.

علم الاجتماع والعلوم المرتبطة به

الفصل الرابع

علم الاجتماع العالمي: قراءة في تيار ما بعد الحداثة

أولاً: أزمة علم الاجتماع

ثانياً: عولمة علم الاجتماع

ثالثاً: تيار ما بعد الحداثة

يتناول هذا الفصل العلاقة الجدلية بين علم الاجتماع والعولمة من خلال الاضطلاع بأثر تيارات ما بعد الحداثة على علم الاجتماع، وتوابع هذا الأثر على المجتمع والتي جاءت متجسدة في صورة العولمة. لذلك، فسنعرض أولاً للأزمة التي تشوب علم الاجتماع، ثم ننتقل إلى بيان مفهوم العولمة وحقيقة ما إذا كنا بصدد علم اجتماع عالمي، حتى ننتهي بقراءة واقع تيار ما بعد الحداثة قراءة ناقدة في محاولة للوقوف على حقيقة هذا التوجه.

أولاً: أزمة علم الاجتماع

الفصل الخامس

علم الاجتماع الطبي

أولاً: الصحة والمرض من المنظور الاجتماعي

ثانياً: مفاهيم أساسية

ثالثاً: التطور التاريخي لعلم الاجتماع الطبي

رابعاً: نظريات علم الاجتماع الطبي

خامساً: البعد الاجتماعي للمرض

أولاً: الصحة والمرض من المنظور الاجتماعي

بالرغم من صعوبة وضع تعريف دقيق لعلم الاجتماع، فإن العديد من الباحثين يصفونه على أنه دراسة المجتمع أو دراسة المؤسسات التي يتألف منها المجتمع أو دراسة العلاقات الاجتماعية. فعلم الاجتماع معنى بدراسة الوقائع الاجتماعية التي تمثل طرق التصرف والشعور والتفكير المشترك للمجتمع، والتي تلزم أفراد هذا المجتمع بالالتزام بها والامتثال لها. فالمعرفة الاجتماعية تمكننا من النظر للمجتمع وللعلاقات الإنسانية بطريقة معينة؛ وأن نفهم ونفسر ونتنبأ بالسلوكيات المختلفة لأفراد هذا المجتمع. إذن فالمنوط من علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للمجتمع البشري من خلال البحث في السلوكيات الاجتماعية للإنسان. ومن هذه السلوكيات تلك المتعلقة بقضايا الصحة والمرض، وسياقها الاجتماعي ومردودها على الأفراد وعلى المجتمع ككل.

فالصحة والمرض من المشاهد شديدة الأهمية في الحياة الاجتماعية. فالحالة الصحية الجيدة تسمح للفرد بأداء أدواره الاجتماعية المختلفة في حياته بالشكل الصحيح. والمرض - كما يراه "تالكوت بارسونز" Talcott Parsons - شكل من الانحراف الاجتماعي. وعليه فإن المجتمع يقوم بخلق نموذج مقبول من السلوكيات فيما يتعلق بالمرض، يطلق عليها "دور المريض" والتي تلزم الشخص بمحاولة العودة إلى حالة الصحة. ويحاول علم الاجتماع الابتعاد عن التعريفات البيولوجية للصحة. وينطلق من فرضية مفادها أن الصحة والمرض عبارة عن بنى اجتماعية " (1).

وبالرغم من أن علم الاجتماع الطبي ليس بالفرع العلمي الجديد. إلا أنه أضيف حديثاً لمجال ومهنة التمريض. ويتصدى هذا الفرع الجديد لطبيعة

العلاقة بين علم الاجتماع ومهنة التمريض خاصة الفائدة التي قد تعود على ممارسة التمريض من النظريات الاجتماعية^(٢). وذلك لما لعلم الاجتماع من إسهامات كبيرة في الجوانب والمجالات المعاصرة للطب والصحة والمرض^(٣).

رقم الصفحة

فهرس

٤٢-٩	الفصل الأول: نشأة علم الاجتماع
١٠٦-٤٥	الفصل الثاني: ماهية علم الاجتماع
١٣٧-١٠٩	الفصل الثالث: علم الاجتماع وعلاقته بالعلوم الأخرى
١٨٦-١٤١	الفصل الرابع: علم الاجتماع العالمي: قراءة في تيار ما بعد الحداثة
٢٢٤-١٨٩	الفصل الخامس: علم الاجتماع الطبي

